قرية شفتة في ديالى

المهاجرون إليها من كل الطوائف والقاعدة فشلت في اختراق ممانعتها الوطنية

◆ (١٥) الف نسمة بمركز صحي واحد يديره معاون ممرض!
◆ يجندون الانتحاريات بأساليب يرفضها الدين والشرع والانسانية

ديالى/ ايناس طارق
تصوير: مهدي الخالدي

في صباح يوم شديد التوترات الامنية شهد اعمال عنف وارهاب اودت بحياة الكثير من الابرياء من عام ٢٠٠٦ اجتمع اهالي قرية شفتة في محافظة ديالى ، تلك القرية الصغيرةالتي تضم ما يقارب الفين وخمسمئة بيت يمثل ساكنوها عدة طوائف من الطيف العراقي.

الاجتماع عقد في ساحة كبيرة وسط القرية تقدم الحاضرون رجل كبير في العمر تجاوز العقد السبعين مخاطبا اهالي القرية بكلمات واضحة المعاني (من يريد العيش والبقاء بسلام لابد ان يقاوم ويحافظ على عرضه وداره دون اراقة الدماء) وهذا الكلام موجه للجميع العشائر والطوائف دون استثناء ،الجميع في القرية مسؤولون المحافظة على الامن والامان ولايسمح لاي شخص زرع الافكار الطائفية بين سكان القرية.

في الطريق الى قرية شفتة

بعد تجاوز منطقة كاطون الرحمة التي تبعد مسافة قصيرة عن قرية شفتة وهذه المنطقة تعتبر صناعية من الدرجة الاولى خاصة انها تضم اكبر مصنع في الشرق الاوسط لصناعة الاجهزة الكهربائية (معمل ديالى لصناعة الاجهزة الكهربائية) اضافة الى مستشفى الرحمة الاهلي ،ومحطة تعبئة غاز ديالى الرئيسية ،ومركز اطفاء مع الاسف دمر خلال المواجهات العسكرية الاخيرة التي شهدتها محافظة ديالى ، اضافة الى بعض الكليات منها كلية الطب وكلية التربية.

يمكن رؤية اشجار ونخيل قرية شفتة لقرب مسافة هذه المنطقة من الشوارع الرئيسية و بمجرد السير لمسافة قليلة لاتتجاوز النصف كيلو متر سوف تلاقيك قريتان قرية الهاشمية على الجهة اليمنى ذهاباً الى قرية شفتة وقرية الحديات على الجهة اليسرى وهاتان القريتان مع الاسف كانتا معقل الارهابين والخارجين عن القانون خاصة قرية الحديات التي قتل فيها الارهابي ابو مصعب الزرقاوي الذي استغل الناس البسطاء والفلاحين لزرع الفتنة الطائفية بين اهالي مدينة البرتقال.

بعد السير لمسافة لاتتعدى النصف كيلو متر عليك الوقوف في طابور طويل (سيطرة امنية) يتطلب الوقوف لمدة ساعة تقريبا حتى تدخل الى بوابة مدينة بعقوبة الجديدة مرورا بشوارعها لتصل الى جسر ديالى الحديدي القديم وبعد عبور الجسر تتخذ الطريق المحاذي للشارع الرئيسي لتكن في محطة ضيافة اهالي قرية شفتة.

دور عشائرالقرية

يقول ابو شيماء مختار قرية شفتة (الغاية من اجتماع العشائر كان العمل على توحيد الطوائف جميعها فقرية شفتة تضم (الطائفة السنية ، والطائفة الشيعية ، والمسيحيين ، والصابئة) اضافة الى ان وجهاء وروساء العشائر اتفقوا على الغاء اسماء عشائرهم ومن يسكن في القرية يكون تحت وصاية وحماية مجلس العشائر الموحد دون استثناء وشاءت المصادفة ان يمثل الطائفة السنية نسبة خمسين بالمئة و الطائفة الشيعية ايضا يمثلون خمسين بالمئة ، اذن لافرق هنا في تأدية الواجبات والحقوق المقررة من مجلس العشائر وبعد انتهاء الاجتماع العشائري اصبحت الامور والاوضاع واضحة للجميع وكل رجل في القرية كان على علم بحجم المسؤولية التي انيطت على عاتقه من حيث الحرص على امن القرية والمشاركة في حماية القرية بتشكيل نقاط حماية ليلية تحمي المداخل الرئيسية للقرية.

استقبال المهجرين

واكد هاشم قنديل من وجهاء القرية بعد اشتداد اعمال العنف والقتل العشوائي استقبلت القرية مايقارب ٨٠٠ عائلة مهجرة ومن جميع الطوائف، فتحت ابواب المنازل لاستقبالهم واكرامهم بكل معنى الكرم العربي والعراقي الاصيل في وقت اصبح الوضع الاقتصادي متأزماً نتيجة قلة المواد الغذائية والزراعية في القرية وخلو المحال التجارية من انواع البضائع كافة.

حصار اقتصادي

يقول حسن صاحب محل تجاري في سوق شفتة اصبحت محالنا خاوية من البضاعة لاشتداد المعارك خارج القرية مما دفعنا الى البقاء داخل القرية والبضاعة بدأت تنفذ لاننا جميعنا نعلم الحالة النفسية التي تفرض نفسها في مثل هذه ظروف فالمواطن يكون راغبا بتوفير القوت اليومي لعائلته.

بينما يقول محمد منتسب في قوات الامن العراقية يسكن في القرية اصبحت اوضاع القرية الاقتصادية صعبة الخروج من القرية والعودة صعب ايضا خصوصا الارهابين بين كانوا يترصدون كل من يحاول الخروج من القرية لاشعال الفتنة الطائفية وقد ذهب نتيجة ذلك ما يقارب المئة وعشرين شهيداً جميعهم قتلوا خارج القرية.

توفير الغذاء والدواء

حسين القريشي مدرس في مدرسة الدرر الابتدائية يقول كان لابد من ايجاد وسيلة لتوفير المواد الغذائية الى القرية خصوصا ان الحصة التموينية متوقفة لعدم قدوم الناقلين المخولين من وزارة التجارة الى القرية والظروف الامنية اصبحت سيئة جدا فشكلنا فريقاً يذهب الى بغداد لشراء الغذاء والدواء وان كان لابد من ذكر اهم حدث ان اخواننا من الطائفة الشيعية كانوا مستهدفين بشكل خاص من الارهابين خارج القرية فكان الاشخاص يمثلون الطائفة السنية يسلكون طرق بعيدة عن الارهابيين ولساعات طويلة من السفر حتى يستطيعوا الاتيان بالغذاء والدواء لسكان القرية ،مما حدا الارهابيون الى العمل على اتباع ظاهرة القتل العشوائي بمجرد رؤية الهوية التي تثبت ان الشخص يسكن قرية شفتة ومن اي طائفة كان يقتل فورا من دون استثناء.

واضاف ابو عمار وهو فلاح يعمل في بستانه الصغير المطل على نهر ديالى يبلغ من العمرخمسة وخمسين عاما لقد واجهنا اياماً صعبة جدا لم تكن على ساكني القرية فقط وانما على اراضينا الزراعية التي فقدت جمالها ورونقها الاخضر فالارض اصبحت جرداء قاحلة لقلة مياه السقي بعدان جف نهر ديالى الممتد من شمال العراق حتى التقائه بنهر الفرات في مدينة بغداد اضافة الى انتشار الدودة البيضاء التي قضت على الحمضيات كافة اضافة الى عدم مكافحة حشرة الدوباس (المنتشرة على اشجار النخيل) افقد الفلاحين الآلالف من اشجار النخيل وما استطعنا توفيره من مياه سقي بحفر ابار او سحب مياه من النهر ساعد على حصد ثمار اعداد قليلة من اشجار الحمضيات كانت تعتبر وجبات غذاء لكثير من عوائل القرية.

دور النساء

فداء امرأة عراقية تحملت فراق وبعد زوجها المنتسب الى قوات الشرطة العراقية لتكون المرأة المضحية والمربية الفاضلة لثلاث بنات صغيرات اكبرهن لم تتجاوز العشرة اعوام تقول فداء بعد اشتداد اعمال القتل العشوائي ولان زوجي من منتسبي وزارة الداخلية اصبح من الصعب قدومه الى منزلنا فكان لابد من العمل في البستان وان اقوم باعمال الزراعة بنفسي استطعت ان احافظ على رونق وجمالية البستان بمساعدة الفلاحين ان كان ذلك بالمشاركة بحرث الارض وزراعتها او سقي البستان والان انا اجني ثمار تلك السنين العجاف.

بينما قاومت ام سرمد جميع الضغوط والمغريات من اجل السماح لوليدها البالغين من العمر (١٧ ،١٩) الانخراط في صفوف المسلحين وعملت على انشاء محل صغير في باحة البيت الريفي القديم تبيع ما تملك من مواد الحصة التموينية لتوفير ما يحتاجونه من ملابس وغذاء والان ام سرمد تملك محلا تجاريا كبيرا بنى اساسه في حديقة المنزل بمساعدة بعض وجهاء القرية اضافة الى ولديها سرمد ، ومحمود اللذين انخراطا في سلك الداخلية ليساعدا والدتهما بعد صبر سنتين من ضعف الحال.

وعلقت مجموعة من النسوة بالكلام ليعبرن عن صبرهن لقد تحدنا مع اطفالنا ورجالنا مدة ٦ اشهر لانأكل غير الرز المطبوخ الابيض من اجل المحافظة على القرية وعدم زرع التفرقة وقتل الابرياء .

اساليب التجنيد

مهند يبلغ من العمر ٢٠ عاما حاول لفترة من الوقت التقرب من تنظيم القاعدة لمعرفة الاساليب التي يستخدموها في تجنيد الانتحاريين والانتحاريات وقد استطاع مهند الهروب من تلك البؤرة القذرة والاختباء عند بعض الاقارب في قرية شفتة بعد ان كاد يكتشف امره يقول مهند عندما اشتدت العمليات العسكرية في محافظة ديالى اضافة الى مقاومة اهالي المنطقة بعد ان توضحت الصورة امامهم بان تنظيم القاعدة ما هو الا تنظيم ارهابي متطرف لايحوى بين افكاره ونياته غير القتل والدمار باسم الدين ومع الاسف بعضهم كان قد جرفه التيار الخاطئ الى الموت

و لطخت
يداه بقتل الابرياء.

اعمار الشباب والبطالة

البحث عن اشخاص يائسين من الحياة ان كانوا عاطلين عن العمل او متضررين نفسيا لفقدانهم شخصا عزيزا عليهم ، الاعمار التي يختارها التنظيم تكون صغيرة جدا ولا تتعدى الخمسة عشر والعشرين عاما ان كان ذلك بالنسبة للنساء والرجال .اضافة الى ضعف الثقافة والوعي الفكري لان غالبية اهالي المنطقة هم من فئة الفلاحين وقد شاهدت طريقتهم بجعل الانسان يائساً كليا من الحياة والمستقبل بعد ان يحاضر بعدة محاضرات تجعله يرفض الحياة والبحث عن الموت بطريقة الانتحار.

اما طريقة تجنيد النساء كانت بالبحث عن فتاة صغيرة فقدت والدها او اخاها، ارملة فقدت زوجها تتعرض الى الاغتصاب والتعذيب بشتى الطرق ومن ثم تحبس في قفص حديدي ويقدم لها الطعام وتعامل معاملة وحشية لاتليق الابالحيوان فتصبح المرأة جسدا بلا روح ،يتقدم منها احد الامراء ويخاطبها بنبرة قاسية جدا بانها اصبحت عاراً على نفسها والدين وعليها غسل اعمالها المشينة بالشهادة التي تؤهلها للدخول الى الجنة!!

نهر ديالى الحزين

وبعد التجوال في القرية ولقربها من نهر ديالى شاهدنا النهر وكان فيه منظره لايسر الناظرين وكانه بقدرة قادر تبخر هذا النهر العملاق اضافة الى ان تحول الى مكئب لرمي النفايات ولايتعدى ارتفاع منسوب المياه مترا واحدا فكيف يمكن ان يحدث ذلك في مدينة البرتقال .

يقول الحاج صائب قبل عدة سنوات كانت مدينة ديالى معرضة الى الفيضان لارتفاع منسوب نهر ديالى ولكن الان النهر جف تقريبا ولولا سقوط الامطار في فصل الشتاء لهذا العام لما شاهدنا الماء يجري فيه والسبب في ذلك ان ايران قد حرفت جريان منسوب المياه الى اراضيها وهذا الفعل ادى الى هلاك البساتين والاراضي الزراعية وهجرة العشرات من الفلاحين مهنة الفلاحة والبحث عن مصدرثان للعمل خاصة ان مضخات السقي مرتفعة الاسعار وقد تجاوزت المليون دينار وبعد عودة الهدوء والاستقرار الامني الى محافظة ديالى اشترك الفلاحون كل حسب مجموعة معينة لشراء تلك المضخة لسقي الارض المزروعة والارض تتطلب ارواء كل خمسة عشر يوما مقابل دفع مبلغ ١٥٠٠٠٠ الف دينار كمصاريف تشغيلية للمضخة وهذا السبب يعد كافيا لهجرة اولاد الفلاحين الزراعة والبحث عن اعمال اخرى.

الكهرباء

الكهرباء في محافظة ديالى بصورة عامة تعتمد على التغذية الكهربائية من دولة ايران مما سبب ذلك مشاكل كبيرة للمواطنين ومنها ساكنو قرية شفتة يقول ابو حازم: منذ ثلاث سنوات والتيارالكهربائي نجهز به من ايران وعندما يصل التيار الكهربائي يكون ضعيفا وكل بيت يحتاج الى جهاز رفع الفولتية الذي يصل سعره الى ٢٥٠٠٠٠ الف دينار وكل منزل يحوى اثنين او ثلاثة اجهزة والذي لايتمكن من شرائه لايستطيع تشغيل غير المصابيح الكهربائية .

الماء غير صالح

الماء غير صالح للشرب نتيجة تكسر انابيب نقل الماء وتعرضها للتلف مماسبب ذلك الى اختلاط ماء الصرف الصحي مع الماء الصالح للشرب .

تقول عالية طبيبة اطفال: تعرض الكثير من الاطفال الى الاصابة بمرض الاسهال والتهاب الكبد الفيروسي وكثرت الاصابة بمرض التيفوئيد وحمى مالطة في فصل الصيف بشكل كبير بين طلاب المدارس عامة وبين المواطنين الذين لايستطيعون شراء المياه المعدنية.

المدارس

توجد في القرية مدارس (مدرسة الدرر الثانوية، ومدرسة قريش الابتدائية المختلطة) جميع المدارس في المحافظة تحتاج الى تعمير جذري متكامل لانها مدمرة بصورة كبيرة اما بالنسبة الى مدارس القرية فانها متضررة جزئيا نتيجة سقوط ٨ قذائف هاون مما سبب ذلك تهديم اجزاء واسعة من المدرستين المتجاورتين.

الشوارع

الشوارع بصورة عامة تفتقد التبليط وبمجرد التزامك السير في الشارع الرئيسي المؤدي الى مدينة بعقوبة يكاد لايخلو مترا واحدا من المطبات والحفروالاتربة المتطايرة التي تسبب احيانا صعوبة الرؤيا للسواق.

اضافة الى انتشار الجزرات الوسطية المهدمة والمحطمة في جميع الشوارع الرئيسية والفرعية وعلق احد المواطنين بالقول في ساحة تقع وسط مدينة بعقوبة تدعى (ساحة الفلاحة) لايتجاوز عرضها سبعة امتار وطولها ١٠ امتارمنذ ٦ اشهر واعمال الترميم والصيانة في هذه الساحة ولا نعلم لماذا المجلس البلدي يعمر ويهدم هذه الساحة وعلى حد قول المقاول تجاوز المبلغ المنفق على هذه الساحة ٧٥٠٠٠٠ الف دينار.

شوارع شفتة

اما شوارع قرية شفتة فهي اساسا غير مبلطة لان الارض مسجلة في التسجيل العقاري ارض زراعية والان القرية تكاد تخلو من الاراضي الزراعية واضاف مختار القرية ابو شيماء لقد حاولنا عدة مرات تقديم طلبات لتغيير جنس القرية ولكن الظروف الامنية حالت دون ذلك ويمكنكم تصور حال القرية في فصل الشتاء والمدارس تعطل لعدة ايام.

المحال التجارية

قبل عدة اشهر فقط من استتباب الامن في المدينة عادت المحال التجارية الى مزاولة اعمالها خاصة في الشوارع الرئيسية لمدينة بعقوبة .يقول سلمان صاحب مطعم ركن العزائم.. لقد اثرت العمليات العسكرية علينا بشكل كبير واغلقت محالنا لفترة سنة تقريبا اصبحنا في اوضاع اقتصادية صعبة جدا لان قبل عدة اشهر استطعنا من اعادة اعمار وفتح محلاتنا وكما تشاهدون الحياة تعود تدريجيا الى طبيعتها.

اما افران بعقوبة فقد كانت مغلقة بشكل كامل بعد اشتداد اعمال العنف وخلوها بشكل كامل من مادة الطحين مما اضطر بعض المواطنين شراء مادة الطحين من السوق السوداء وباسعار خيالية يقول ستار صاحب مخبز الجمهورية بعد استنفاد مادة الطحين اغلقت المخابز ولم يبق امامنا منفذ غير قرية شفتة لتجهز المواطنين بمادة الطحين لقربها من منافذ الطرق الرئيسية لمنطقة (الحسينية ، الكوت ، كركوك) ولم تفتح المخابز لعدم توفر مادة النفط او الغاز وانما كل بيت يقوم بصناعة الخبز باي طريقة كانت ومنها طريقة استخدام تنانير الطين التي كانت سببا لقطع الكثير من الاشجار لاستخدامها كوقود.

المستشفيات والمراكز الصحية

مستشفيات ديالى بصورة عامة تحتاج الى تأهيل واعمار بعد تعرضها الى اطلاقات نارية وسقوط عدة قذائف هاون على ابنية العديد من المستشفيات والمراكز الصحية اما بالنسبة الى قرية شفتة فانها تفتقر الى وجود مستشفى ويوجد فيها مركز صحي يخلو من الاطباء الاختصاص ويديره معاون ممرض اضافة الى ممرضين يفتقرون الى الخبرة الطبية والجراحية.

يقول ابو ياسر: لايوجد في القرية غير مستوصف طبي واحد وفي ظل الظروف الامنية السابقة اصبح المستشفى يستوعب الكثير من المواطنين لتلقي العلاج ولكن في احيان كثير يصعب معالجة حالة مرضية معينة يضطر اهالي المنطقة الى نقلهم الى مستشفى الرحمة الاهلي او الى مستشفيات السليمانية وقد حدثت حالات وفاة عديدة لبعد المسافة او لانقطاع الطرق.

واضاف واثق محمد من اهالي القرية: محافظة ديالى تحتاج الى عدة مستشفيات بعد ان اصبح مستشفى ديالى العام غير مؤهل لاستقبال المرضى بسبب افتقاره الى العلاج والاسرة والبناية مهدمة والمجاري طافحة ولم يتغير شي بعد استتباب الامن انما الاعمار بطيء جدا والمرضى يدفعون ضريبة التأخير باصاباتهم بامراض عديدة او الى التسمم لان المعاون الطبي الموجود في المستوصف يصرف الدواء غير الصحيح. وقرية شفتة تضم ما يقارب ١٠ الاف مواطن اليس هذا العدد كافياً لانشاء مستشفى.

بساتين البرتقال

وقبل ان نودع قرية شفتة ذهبنا الى روية بساتين البرتقال لاننا دوما نشتري من الاسواق في بغداد بعد ان نقرأ لافتة كتب عليها برتقال ديالى.

مع الاسف كان البرتقال ليس كما هو ريان وحجمه كبير بسبب تلفه لانتشار الدودة البيضاء القطنية وقلة ماء السقي وبالرغم من ذلك تبقي مدينة البرتقال تحمل بكل بذرة برتقال زرعت املاً جديدا يتحدى الارهاب.

*** ايام الاحتقان الطائفي تقاسموا المهمات بعضهم يوفر الغذاء والقسم الاخر يزرع والنساء يوفرن رغيف الخبز**

*** اهالي القرية يناشدون المسؤولين لمساعدتهم في القضاء على مرضي دوباس النخيل والدودة البيضاء التي قضت على الحمضيات**